

# لا تقترح .. بل انظر

الكاتب: د. جمال الباشا

لا تقترح .. بل انظر

د/ جمال الباشا

هل يُمكنُ للوليِّ أن يرى أهوالَ الدنيا وعذاباتها أمامَ عينيه ويضحك؟! قد يكونُ السؤالُ غريباً لأوَّل وهلةٍ فلا تعجلْ واقرأ بعيني قلبك لتمنحَ روحك جرعةً بلسميَّة شافيةً وافيةً، في زمانٍ أوجاعُه خطيرةٌ وآلامُه مريرةٌ. نعم.. قد تدمعُ العينُ رحمةً ويضحكُ القلبُ ثقةً و يقيناً، فقد ضحكَ الإمامُ السعيدُ (ابنُ جبير) والسيفُ مُصلتٌ فوقَ عنقه وطاغيةُ العراقِ حينئذٍ يتقطعُ غيظاً ويصرخُ: ما يضحكُك؟! فيجيبُ بهدوءٍ وثقةٍ: عجبتُ من جراتك على الله وحلمِ الله عليك..

نعم من نظرَ إلى الكونِ من حوله فرآه مملكةً صاغرةً خاضعةً في قبضةِ ملكٍ عظيمٍ مهيمنٍ يدبُرُ أمره بحكمةٍ وإحكام، لا يُعجزُه شيءٌ ولا يخفى عليه شيءٌ، كلُّ من فيه له عبيد، ولا يكونُ في ملكه وسلطانه إلا ما يُريد، سكنتُ نفسه واطمأنَّ قلبه وهنا عيشُه واستعذبَ مرارةَ الحياة، وتذوَّقَ الحياةَ بمذاقٍ عجيبٍ لا يعرفُه إلا من جرَّبه!!

ومن أيقنَ بأنَّ تدبيرَ الله تعالى له خيرٌ من تدبيره لنفسه، وأشهدهُ الله في نفسه وفيما حوله أفعاله القاهرةً وحكمته الباهرة، لم يجرؤْ أن يُحدثَ نفسه ولا يُمِرَّ على خاطره ما يُمكنُ أن يُشيرَ إلى استدراكه على سيده ومولاه أو اقتراحه عليه ما يظهرُ له منه مصلحةٌ ما وكأنَّها خفيتُ عليه أو غفلَ عنها!! فالذي يدبُرُ الأمرَ من السماءِ إلى الأرضِ بلا ريبٍ هو الأولى بالتدبير. كيف يجوزُ للعبدِ العاجزِ الجاهلِ أن يقترحَ على ربِّه العالمِ بكلِّ شيءٍ القادرِ على كلِّ شيءٍ، وهو أرحمُ بالمؤمنين من أمهاتهم؟! حتى لو كان هذا الاقتراحُ منه حديثَ نفسٍ فإنَّ مَنْ كملتُ بالله معرفتهُ قد يعُدُّ ذلك من سوءِ الأدبِ وضعفِ التفويضِ.

حذارٍ أن تذهبَ بك الظنونُ إلى التواكلِ والكسلِ وتركِ الأسبابِ وهجرِ العملِ، فتنقلبُ هذه الجرعةُ إلى جرعةٍ تخديرٍ وتشبيطٍ، بدلَ أن تكونَ جرعةً تحفيزٍ

وتثبيت!!

إن لم ينقدح لك المعنى بعدُ فدونك ذلك الترياقُ المذهلُ من ذلك الإمام  
الربانيِّ العارفِ وقد قال كلمةً من أعجب المقولات، ولا أعلم مقولةً ظلت  
حاضرةً دائرةً في نفسي تعملُ عملها فيها سنينَ طويلةً مثلها.  
ما الذي جعلَ يا ترى قريحةَ عمر بن عبد العزيز تجودُ بقوله: (لقد أصبحتُ  
ومالي من متاع الدنيا سرورٌ سوى النظرِ في مواضعِ القَدَر).  
لله درُّ تلك القريحةِ ما أجودها!

إنه ينظرُ إلى الأحداثِ من حوله حُلوها ومُرَّها فيلحظُ قلبه يدَ الله وتدبيره فيها  
فيتذوقُها بمذاقٍ واحدٍ يسرُّه ولا يضرُّه، يرضيه ولا يُشقيه، بل يمتعه ويُبهِجُه!!  
فهو ينظرُ إلى لوحةِ الكونِ بألوانها المختلفةِ نظرةً شاملةً يتخطى بتأملاته فيها  
حدودَ الزمانِ والمكانِ ويتذوقُ منها الإبداعَ والجمالَ والكمالَ فلا يملكُ أن يمنعَ  
خفقاتِ قلبه أن تقولَ له:  
يا عبدَ الله، انطرح.. انطرح.. ولا تقترح.

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

<https://www.innablog.com>